كلمة رئيس جامعة البعث
الأستاذ الدكتور طلال الخليل
عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيها الحفل الكريم

أقف هذا الموقف باسم رئاسة جامعة البعث ممثلةً بالأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب، الذي يشكر مجمع اللغة العربية ورئيسه على تنظيم حفلة التأبين هذا، ويكرر تعازيه القلبية لفقدان علم من أعلام جامعة البعث بعد أن تابع حالته الصحية في المشفى بشكل مستمر. كما أقف هنا باسم عمادة كلية الآداب والعلوم الإنسانية أساتذةً وموظفين وطلابًا لنؤبن عالمًا موسوعيًا، وهو الأستاذ الدكتور عبد الإله نبهان.

إن الموت حق، فقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. صدق الله العظيم.

فالموت قدرنا جميعًا، ولا راد لقضاء الله، ولا ينجو منه أي مخلوقٍ كبيرًا كان أم صغيرًا، شريفًا كان أم حقيرًا. ولكن الغصة تكون كبيرةً ومؤلمةً، ويزداد الخطب فداحةً حينما نفقد عالمًا من علمائنا الكبار من أمثال المرحوم د عبد الإله نبهان، الذي كان بحق أهم أعلام اللغة في جامعة البعث، الذي درس عليه ونهل من طيب علمه الكثيرون، فقد كان فقده ثلمةً لا يسدها شيء.

إن معرفتي بالدكتور عبد الإله ليست وليدة تسلمي عمادة كلية الآداب، فقد عرفته مذ كنت طالبًا ثم معيدًا وكان حينها نائبًا للعميد وكنت أعجب بهدوئه في فترة الامتحانات عند سحب الأسئلة من أوراق ما كان يسمى ورق الحرير. ولكن معرفتي به عن قرب ازدادت حينما غدوت عميدًا للكلية، فقد كان رحمه الله مثالًا يحتذى للرجل الذي امتلأ علمًا.

إن من أهم السمات التي امتاز بها المرحوم علمه الواسع في علوم اللغة العربية نحوها وصرفها ومعرفته الواسعة بأعلام اللغة وبمؤلفاتهم. إنه موسوعة علمية بامتياز، موسوعة كل صفحة منها تنبىء عن هذا العالم الفذ.

أما السمة الثانية فهي التواضع، إذ لم يشعر أحدًا، وهو ما هو من العلم، أنه مميز عن باقي المدرسين في الكلية، فقد كان أكثرهم التزامًا بمحاضراته وبواجباته، بل كان يقوم بتنفيذها بنفس طيبة سمحة فلا أذكر أنه تغيب يومًا عن محاضرة له أو عن أي عمل إداري بل كنت أراه السباق.

والسمة الثالثة ذلك الحب الذي يكنه له زملاؤه وطلابه على حد سواء، فقد كان مكتبه – رحمه الله – ملتقىً لكل طالب علم ولكل صاحب مشورة.

وثمة سمة أخرى لا تقل أهمية عما ذكرت، وهي رحابة صدره واتزانه في المناقشات العلمية، فقد كان ذا ملاحظات علمية دقيقة.

إن ما يتميز به المرحوم أيضًا صدقه وابتعاده عن المجاملة التي تكون على حساب العلم، فقد كان ذا رأي صريح وصادق نابع من قناعته من دون زيف. كما كان يتمتع بحسٍ فكاهي راقٍ ذكي لم يفهمه إلا من عرفه عن قرب.

أيها الحفل الكريم:

أعبر عن عظيم ألمي لخسارة جامعة البعث هذا العلم الفذ فخسارته فادحة لا تعوض، ويصدق فيه قول الشاعر:

لعمرك ما الرزية فَقْدُ مال ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت بموته خلق كثير

رحم الله فقيدنا أبا مصعب وأسكنه فسيح جناته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *